89 - السيدة سفّانة بنت حاتم الطائي

سليلة بيت الكرم والجود

اسمها سفّانة، والدها حاتم الطائي، جدتها لأبيها عتبة بنت عفيف التي ورّثت ابنها حاتماً الجود والكرم، ثم كانت سفّانة وارثة لخلقهما في النّدى والسخاء.

كانت جدتها عتبة متلافة، فحجر عليها إخوتها، وأمسكوا عنها مالها دهراً، ثم دفعوا إليها صَرْمَة إبلٍ[1] فجاءتها امرأة اعتادت سؤالها، فأعطتها الصرمة كلها، وقالت:

لَعَمْرِي لَقِدْماً عَضَّنِي الجُوْعُ عَضَّةً ... فَآلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعَا
فَقَولَا لِهَذَا اللَّائِمي اليَوْمَ: أَعْفِنِي ... فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعُضَّ الأصابِعَا
فَمَاذَا عَسَاكُمْ أَنْ تَقُولُوا لأُخْتِكُمْ ... سِوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلِ مَنْ كَانَ مَانِعَا؟
وَمَاذا تَرَوْنَ اليَوْمَ إِلَّا طَبِيْعَةً؟ ... فَكَيْفَ بِتَرْكِي يَا ابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا؟

وقعت سفّانة في سبي المسلمين، فأنزلها رسول الله ﷺ في خيمة بقرب مسجده الشريف مع بقية السبي، وفي طريقه إلى الصلاة مرَّ بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وقالت: يا رسول الله ﷺ هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك، فقال لها النبي ﷺ: «**مَنْ وَافِدُكِ؟**»، قالت: عدي بن حاتم، قال: «**الفَارُّ مِنَ الله وَرَسُوْلِهِ؟**» ثم تركها ومضى.

وفي اليوم الثاني مرَّ بها، فقالت له مثل قولها السابق، فلم يجبها بشيء، ويئست من التحدُّث إليه.

---

(1) الصَّرْمةُ من الإبل: ما بين العشرة إلى الأربعين من الإبل.

كرم المصطفى ﷺ يفوق كرمهم

فلما كان اليوم الثالث، مر بها رسول الله ﷺ فأشار إليها رجل من خلفه أن تقوم فتكلمه، فقامت إليه، فقالت: هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك، فقال لها: «**قَدْ فَعَلْتُ، فَلا تَعْجِلِي حَتَّى تَجِدِي ثِقَةً يُبْلِغُكِ بلادَك، ثُمَّ آذِنِينِي**».

ولما غادرها رسول الله ﷺ سألت عن الرجل الذي أشار إليها، فقيل لها: إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم إنها بقيت تنتظر حتى قدم ناس من الشام فيهم بعض قومها ممن تثق بهم، فأخبرت رسول الله ﷺ، فكساها، ومنحها راحلة تُقِلُّهَا، وأعطاها نفقة تكفيها، ثم انطلقت مع الركب إلى الشام حتى قدمت على أخيها عدي بن حاتم.

يقول عدي: لقد وصلني نبأ لقائها بمحمد ﷺ، وإحسانه إليها، وكرمه معها، على الرغم ما كان من سوء تصرف عدي معه.

وفيما كان عدي وأهله يترقبون وصول سفَّانة إليهم لاح له عن بعد هودج فيه امرأة يتَّجه نحوهم، فلما اقتربت، صاح: سفَّانة، فكانت هي هي، وحين وقفت نظرت إليه، وقالت: القاطع الظالم، حملت أهلك وولدك، وتركت بقية أبيك وعورتك، فطفق عدي يعتذر إليها ويترضَّاها حتى صفحت عنه.

وبعد أن استراحت من عناء رحلتها الطويلة، روت له ما كان من أمر سبيها، وحديثها مع من أحسن إليها.

إسلامها وأخيها

ولم تكن سفانة امرأة عادية، لكنها كانت عاقلة حازمة شديدة الذكاء فصيحة العبارة، وكان أخوها عدي يثق برأيها، وحسن تفكيرها، فقال لها:

أيْ أُخَيَّة ما ترين في أمر هذا الرجل بعد أن رأيته وتحدثت إليه؟، فقالت: الرأي عندي أن نلحق به سريعاً، فإن يكن نبياً، فالسابق إليه له فضل، وإن يكن ملكاً فلن تُذَلَّ عنده وأنت أنت، قال: والله، إن هذا الرأي.

وانطلق عدي بن حاتم وأخته سفّانة إلى النبي ﷺ، وأعلنا إسلامهما بين يديه، رحمهما الله تعالى.